السنة الثالثة ليسانس

المستوى : السداسي السادس

المقياس:علم الدلالة 2

المعامل: 02

الرصيد: 04

نوع الدرس: محاضرة – وحدة التعليم الأساسية

الأستاذة: د. غنية تومي

المحاضرة 05: المحاضرة الثامنة: الأضداد Antonymy

1-تعريفها: الأضداد **لغةً** من " (ضَدَدَ) اللَّيث، الضِدُّ كُلُّ شَيْءٍ ضَادَّ شيئًا لِيَغْلِبَهُ، والسَّوادُ ضِدُّ البَيَاضِ والمَوْتُ ضِدُّ الحَيَاةِ واللَّيلُ ضِدُّ النَّهَارِ إذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ ذَلِكَ (...) ضِدُّ الشَّيْءِ وضَدِيدُهُ وَضَدِيدَتُهُ خِلَافُه الأخِير"[1]. **اصطلاحًا** فيقصد بها تلك " الكلمات التي تؤدّي إلى معنييْن متضادَّيْن بلفظٍ واحد ككلمة (الجوْن) تطلق على الأسود والأبيض، و(الجلل) تطلق على الحقير والعظيم."[2]، ويجعله السُّيوطي(ت911هـ) نوعًا من المشترك، ويَذْكُرُ حَدَّ الأصوليّين له بقوله: " قال أهل الأصول: مفهوما اللّفظ المشترك، إمّا أنْ يتباينا، بأنْ لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد، كالحيض والطهر، فإنَّهما مدلولا (القرء)، ولا يجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد أو يتواصلا، فإمّا أن يكون أحدهما جزءًا من الآخر كالممكن العام للخاص، أو صفة كالأسود لذي السواد فيمن سميّ به"، والتقابل بين معنيَيْ اللّفظ لا يقصد به تقابل المعاني دون اتِّحاد صيغة اللّفظ، كالليل والنهار، والطول والقصر، بل إنّ **اتحادَ اللّفظ** شرطٌ أساسٌ في هذه الظاهرة.

-الأضداد والتّضادّ: وجب قبل المُضيّ قُدُما في بحث ظاهرة الأضداد أن ننوّه إلى أنّ التّضاد بالمفهوم الحديث، لا القديم، يشمل أنواعا أربعة هي:

-التّضاد الحادّ ويسمّى **التّضادّ غير المتدرّج** مثل: (حيّ – ميت)، فهما كلمتان متقابلتان في المعنى، ونفي أحد طرفيْ التّقابل يعني الإقرار بالآخر.

-**تضاد التّضايف:** ويسمّيه المناطقة (الإضافة) وهي نسبة بين معنييْن كلّ منهما مرتبط بإدراك الآخر، كإدراك الأبوة و البنوّة، فإمّا أحدهما لا يدرك إلا مع الآخر.

-**التّضاد المتدرِّج:** ويصفه المناطقة بأنّ الحدّيْن فيه لا يستنفدان كلّ عالم المقال؛ وعليه فإنّهما قد يكذبان معا، أي أنّ شيئا قد لا ينطبق عليه أحدهما، فبينهما وسط، مثلا: ماء ليس ساخنا لا يعني الاعتراف ضمنيّا بأنه بارد فقد يكون فاترا أو دافئا (ساخن– فاتر-بارد).

-**تضاد التّنافر:** ويسمّيه المناطقة بـــتضادّ **التّخالف؛** وهي النّسبة بين معنى ومعنى آخر من جهة إمكان اجتماعهما وإمكان ارتفاعهما، مع اتّحاد الزمان والمكان(أكل–باع)، (الطول-البياض).

لقد كان (**الاستلطاف**) السبب في بدء التأليف في الأضداد، وظهور أولِّ كتابٍ لصاحبه قطرب (ت206هـ) وهذا يعني أنّ الكتابة في الأضداد بدأت **هواية** في القرن الثاني للهجرة ثم صارت **إزاحة** ما غمُض من أضداد القرآن الكريم في القرن الثالث، ثم تحوّلت إلى **رغبة** في الدفاع عن العربيّة ومواجهة الشعوبيّين – أو أهل الزيغ والبِدَعِ – أوائل القرن الرابع، لينتهيَ في آخر المطاف إلى رغبة في تقديم **رصيد** من هذه المفردات كمحسنّات لفظية لذوي الاختصاص، وهذا بدءًا من القرن الثالث عشر، ونستبينُ من هذا أنَّ الدافعَ الذي حمل اللّغويّين على تدوين الأضداد لم يثبت على مرِّ العصور، بل تغيّر من جيل إلى آخر.

لقد تضاربت الآراء حول سعة هذه الظاهرة في عربيتنا؛ فذهب البعض إلى أنَّ عدد ألفاظ الأضداد يتجاوز سبعًا وخمسين وثلاث مئة، كما يتبيّن في كتاب ابن الأنباريّ، بينما يتضاءل العدد إلى اثنين وعشرين لفظًا مثلما ذهب إليه المستشرق **جيز Giese**، وهذا بعد دراسته للشِّعر الجاهلي مطبّقًا قواعد علم تطوُّر المعاني، لكنَّ المنطقَ يستوجبُ منَّا ألاَّ نأخذ بهذا الكمِّ الضئيل باعتبار أنَّ كثيرًا من ألفاظ الأضداد نشأت بعد ظهور الإسلام وجمع اللّغة من قبائل متعددة اللّهجات، وبالتَّالي برزَ كمٌّ آخر من هذه الألفاظ [3].

وأكثرُ الدارسين و اللّغويّين على جعلِ ألفاظ الأضداد نوعًا من المشترك اللّفظي وفرعًا منه وعلى رأسهم السّيوطي الذي استهلَّ بابَ الأضدادِ، بقوله:" هو نوع من المشترك"[4] سالكًا في ذلك مسلكَ الأصوليّين وبعض العلماء الذين يَروْن أنَّ "المشترك يقع على شيئين ضدَّين، وعلى مختلفين غير ضدَّين، فما يقع على الضدَّين كالجوْن و جَلل، وما يقع على مختلفين غير ضدَّين كالعين".

مِنْ أهمِّ مَنْ كَتَبَ في الأضداد: قطرب (ت206هـ)، وأبو عبيدة (ت210هـ)، والأصمعيّ (ت216هـ)، التّوزي(ت230هـ)، وابن السكّيت(ت244هـ) وأبو حاتم السجستانيّ(ت255هـ)، والمبّرد(ت284هـ)، وابن الأنباريّ (ت328هـ)، وأبو الطيب اللّغويّ (ت351هـ)، وابن الدَّهان (ت569هـ)، والصاغاني(ت650هـ).

2-الأضداد بين الإنكار والإثبات:

2-1/ المثبِتون: أمّا المقرّون بهذه الظاهرة المعترفون بوجودها، فيجعلونها وسيلةً من وسائل التنوّع في الأساليب والتّعابير، ودليلًا على مرونة العربيّة وسعتها، وأمثلة الأضداد كثيرة في اللّغة تؤكد أنَّه واقع موجود ولا مناص من الإقرار بوجوده ذلك أنَّ العوامل التي تؤدِّي إليه عوامل فَعَّالة في حياة الناس، ويتفاوت المثبتون للأضداد بين مبالغين في التّوسيع، نحو: أبو حاتم، قطرب، ابن الأنباريّ...، ومبالغين في التضييق وأغلبهم من المحدَثين، وعلى رأسهم إبراهيم أنيس[5] الذي يحصر ألفاظ التَّضاد بمعناه الحقيقي في نحو عشرين كلمة في كلِّ لغة، وهي بهذا الحجم الضَّئيل لا تستحق كلّ هذه العناية، خاصةً وأنَّ أغلب هذه الألفاظ يؤول إلى الاضمحلال والزَّوال عندما يشتهر أحد معنييْها على حساب الآخر مع مرور الزمن[6]. ونجد صبحي الصَّالح يميل كذلك إلى التضييق عندما يقول:" أمّا اتّساع التعبير في العربيّة عن طريق التَّضاد فليس في وُسعنا أن نبالغ فيه ونكبِّر من أمره، لأننَّا – بعد مراجعة رصيدنا اللّغويّ من الأضداد – سنجد أنفسنا وجهًا لوجه أمام مقدار ضئيل من الكلمات؛ وسرعان ما نلاحظ أنَّ هذا المقدار الضَّئيل نفسه يأخذ في التّضاؤل شيئًا فشيئًا حتَّى ليكاد يتلاشى"، أمّا من المعتدلين في الرأي إزاء هذه القضية من القدماء فيطالعنا ابن فارس مثبتًا إيّاها دونما مبالغة، وذلك في أمرين أثنين:

أ-من عادة العرب وسننها تسمية المتضادَّين بلفظ واحد نحو: الجون الأسود والأبيض.

ب-الإقرار بورود الأضداد صار لزامًا ما دُمْنَا اعترفنا بالمشترك اللّفظي في اللّغة "وذلك أنَّ الذين رووا أنَّ العرب تسمّي السَّيف مهندًا، والفرس طِرْفًا هم الذين رَووا أنَّ العربَ تُسميّ المتضادَّين باسم واحد"[7]، ومن الذين **توّسطوا** في رأيهم من محدثينا نجد علي عبد الواحد وافي الذي يعيب على الفريقين مغالاتهما بقوله: "فمن التعسّف إنكار التَّضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعًا تأويلاً يُخرجها من هذا الباب كما فَعَل الفريق الأول(...) غير أنَّه لم يكثر وروده في اللّغة العربيّة على الصورة التي ذهب إليها الفريق الثاني، وذلك أنَّ كثيرًا من الأمثلة التي ظنَّ هذا الفريق أنّها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يُخرجها عن هذا الباب.

وفيه من قال بوجود الأضداد لكن باعتبارها " ظاهرةً غير صحية في اللّغة العربيّة، وأنّ العرب لجأوا إليها لنقصان حكمتهم، وقلّة بلاغتهم. يقول ابن الأنباري: "ويظنُّ أهلُ البدع والزيغ والإزراء بالعرب، أنّ ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلّة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتّصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك، ويحتجُّون بأنَّ الاسمَ منبئٌ عن المعنى الذي تحته ودالّ عليه، ومُوضِحٌ تأويله، فإذا اعتور اللّفظةَ الواحدةَ معنيان مختلفان لم يَعرف المخاطَب أيُّهما أراد المخاطِب، وبَطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمَّى"[8]، وَ ردَّ عليهم محتجًّا بقوله:"إنَّ كلامَ العربِ يصحِّح بعضه بعضًا، ويرتبط أوّلُه بآخره، ولا يُعرَف معنى الخطاب منه إلاَّ باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللّفظة على المعنيين المتضادّين، لأنَّها يتقدَّمها ويأتي بعدها ما يدّل على خصوصية أحد المعنيين المتضادّين، لأنَّها يتقدَّمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التكلّم والإخبار إلَّا معنى واحد، فمن ذلك قول الشاعر:

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْمَوْتَ جَلَلٌ وَالْفَتَى يَسْعَى وَيُلْهِيهِ الْأَمَلُ

فدلَّ ما تَقدَّم قبل (جلل) وتأخر بعده على أنَّ معناه: كلّ شيء ما خلا الموت يسير؛ ولا يتوهَّم ذو عقل وتمييز أنَّ (الجلل) هاهنا معناه (عظيم)"[9]، ثمَّ أورد طائفة من أضداد القرآن الكريم وأشعار العرب ليست بالهيّنة.

2-2/ المنكرون: إنَّ مجيء معنيين متضادَّين بصيغة واحدة، دفعَ ببعض اللّغويّين إلى إنكار التَّضاد في العربيّة، وعلى رأس هؤلاء ابن درستويه الذي أَلَّفَ كتابًا خاصًا سمَّاه (إبطال الأضداد)، لكن للأسف لم يصل إلينا هذا المُصنَّف، ولو وصَلَ إلينا لوقفنا أكثر على أهَّم مرتكزات ابن درستويه في إبطاله هذه الظاهرة. ومن المنكرين أيضًا ثعلب (ت291هـ) وأحد شيوخ أبي علي الفارسي(ت377هـ) والجواليقي (ت540هـ). ويزعم الفريق المنكر أنَّ وجود مثل هكذا أمر في العربيّة يؤدِّي إلى التعميّة وغموضِ الدّلالة والتباسها على السَّامع، وهو خلافُ المُراد من اللّغة، باعتبارها أداة تواصل وإبلاغ وإبانة المقصود من المخاطِب إلى المخاطَب.

3-أسباب نشأة الأضداد: وتلخَّص في النقاط الآتية:

– **اختلاف اللّهجات**: يقول السُّيوطيّ:" وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين فمحال أنْ يكون العربيّ أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيٍّ من العرب والمعنى الآخر لحيٍّ غيره، ثم سَمِعَ بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء قالوا: فالجون الأبيض في لغة

حيٍّ من العرب، والجون الأسود في لغة حيٍّ آخر؛ ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر"، ومن أمثلة هذا لفظة (السدفة) التي تعني الضوء في لغة قيس، والظلمة عند سائر العرب، ولفظة (وثب) التي تعني عند مُضَر: الوقوف أو القفز، وتعني عند حِمْيَر: الجلوس والقعود[10].

– **عموم المعنى الأصلي:** إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان، على جهة الاتِّسا؛ فقد يكون المعنى الأصلي للفظة عامًا، ثمَّ يتخصّص هذا المعنى في لهجة من اللَّهجات ليتخصَّص في لهجة أخرى بضدِّ المعنى الأوّل، ونكون هنا إزاء نشأة حسيّة مع وجود أصل مجرَّد يرجع إليه، ومثال هذا كلمة (الصَّريم). يُقال لِلَّيل صريم، وللنَّهار صريم؛ لأنَّ الليلَ ينصرم من النهار، والنَّهارُ ينصرم من اللَّيل؛ فأصل المعنيين من بابٍ واحدٍ وهو القطع ... وكذلك: (السُّدفة): الظلمة والسُّدفة الضوء؛ سُمِّيا بذلك لأنَّ أصلَ السُّدفة الستر، فكأنَّ النهارَ إذا أقبل ستَر ضوء ظلمة الليل، وكأنَّ الليلَ إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النَّهار.

– **أسباب اجتماعية و نفسية:** كالتَّفاؤل والتَّشاؤم والتَّهكُّم والخوف من الحسد، وهي عادات وأنماط تعبيرية تنتاب الإنسان؛ لها دورها في نشأة بعض المتضادَّات، فالتفاؤل مثلًا، من العناصر الإيجابية لفكرة اللَّامساس، تواضعت عليه الجماعات اللّغويّة لأسباب اجتماعية ونفسية محافَظَة على القيّم الإنسانية بين الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم، ويتفاوت مدى التفاؤل وموضوعه بين اللّغات تبعًا للعادات والتقاليد والعقائد، وله في تاريخ العربيّة شأنٌ مهمّ تمثل في بعض ظواهرها، ومن أهمّها ظاهرة (الأضداد)، ويكون ذلك عندما يبتعد المرء عن لفظ يتشاءم من ذكره إلى غيره،؛ فجميع الكلمات التي تعبّر عن الموت والأمراض والمصائب والكوارث يفرّ منها الإنسان ويُكنيّ عنها بكلمات حسنة المعنى قريبة إلى الخير وأوضح ما تكون هذه الغريزة من النِّساء وفي الأوساط التي نالت حظًا ضئيلاً من الثقافة"، وأمثلة هذا كثيرة في عربيّتنا، نحو كلمة (المفازة) التي تعني المنجاة والمهلكة، وكلمة (النَّاهل) التي تُطلق على الضِدّين: العطشان والريّان، و(السليم) على الصحيح واللَّديغ، واشتقاقه من السَّلامة يؤكّد أصالة المعنى الأوَّل وأمَّا إطلاقه على اللَّديغ فهو على سبيل التَّفاؤل بسلامته.

والخوف من الحسد عامل اجتماعي نفسي، يدخل ضمن (اللَّامساس) أيضًا، ويبرز أكثر في القبائل البدائية التي تقول بالسِّحر وتؤمن بالإصابة بالعين وتلعب الكلمة دورًا مُهِمًّا في هذا الاعتقاد، فيفرُّ المرءُ في مثل هذه البِّيئة من وصف الأشياء بالحسن والجمال حتّى لا تصيبها عين الحسود، يمكن عن هذا الطريق تفسير بعض كلمات الأضداد في العربيّة، فمثلاً كلمة: (شوهاء) يوصف بها الفرس

القبيح والجميل، فيقال: (مهرة شوهاء) إذا كانت قبيحة، و(مهرة شوهاء) إذا كانت جميلة.

– **التَّغيُّر الصّوتي:** قد تصاب أصوات لفظة بتغيير بالزيادة أو النقصان وفق نظام التغيُّر الصوتي، فتتطابق في أصواتها مع لفظة أخرى مضادة لها دلالة وتبدوان لنا كما لو كانتا كلمةً واحدةً لهما معنيان متضادّان، ويجعل إبراهيم أنيس هذا العنصر ضمن المصادفات اللّغويّة بقوله:" هذا ولا ننسى أنّ للمصادفات دخلاً في بعض هذه الأضداد فقد يترّتب على التطوّر الصوتي في كلمةٍ ما أنْ تصبح مماثلة في لفظتها لكلمة أخرى مضادَّة في المعنى"[11]، ومن أمثلة ذلك قول بني عقيل: (لمقتُ الكتابَ) بمعنى كتبته، وقول قيس: (لمقتُ الكتابَ) بمعنى مَحَوْتُهُ، فيظهر لنا أنَّ لفظةَ (لمق) من الأضداد، لكن ينبغي أنْ ندرك أنَّ هناك الفعل (نمق) الذي يعني (كتب)، يكون قد تغيّر نطقًا من (نمق) إلى (لمق) عند بني عقيل، وعلى هذا النحو يمكن أن نفسّر تضادَّ كثير من الألفاظ (نحو: التغير الصوتي الذي طرأ على لفظة (جَنَّ) بمعنى سَتَرَ وصارت (جون) بمعنى النور) وغيرها من الأمثلة كثير.

– **احتمال الصِّيغة الصَّرفية للمعنييْن:** توجد في العربيّة بعض الصّيغ الصّرفية التي تحتمل الواحدة منها معنيين متضادّين، نحو: صيغة (فَعُول) التي تستعمل بمعنى (فاعِل) مثل:(شكور) و(غفور) وتستعمل أحيانًا بمعنى(مفعول) مثل: رسول أيْ (مُرْسَل) وناقة (سلوب) بمعنى مسلوبة الولد، ومن هنا وصلتنا بعض أمثلة هذه الصيغة بالمعنييْن كما في مثل: (ركوب) بمعنى: راكب ومركوب، و(زجور) بمعنى: زاجر ومزجور وصيغة (فَعِيل) التي تستعمل بمعنى(فاعِل) و(مفعول)، كما في مثل (قنيص) بمعنى قانص ومقنوص، و(تبيع) بمعنى: تابع ومتبوع. وصيغة (فاعِل) التي تستعمل أحيانًا بمعنى (فاعِل) و(مفعول)، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** ﴾ [القارعة:7] أي مرضية. وصيغة (تَفَعَّلَ) التي للمطاوعة غالبًا، وللسَّلب والإزالة أحيانًا، نحو: (تأثّم فلان) إذا أتى المأثم، وتأثّم إذا تجنَّب المأثم، وغيرها من الصِّيغ الصرفية التي تحتمل الواحدة منها دلالتين متضادتين.

– **المجاز**: يرى كثير من المحدَثين أنَّ المتتبع لأضداد العربيّة لا محالة سيجد فيها طائفة غير هيّنة من الألفاظ التي يكون أحد معنييها حقيقي والآخر مجازي انتقل من الحقيقة بوساطة الاستعمال ولحاجة في نفس المتكلم عمدًا أو بغير عَمْد حتى إذا شاع إطلاق اللّفظة مجازًا على معنى معيّن وكثر استعمالها فيه تقترب شيئًا فشيئًا إلى أن تكون حقيقية في دلالتها على ذلك المعنى، ونكون بعد ذلك إزاء لفظة تنصرف انصرافين حقيقين، فإذا كان المعنيان متضادَّين أو ما يشبه

المتضادَّين عُدّت هذه اللّفظة من الأضداد، ومن أمثلة ذلك لفظة (الأُمَّة) التي تُطلَق على الجماعة والفرد، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا**﴾، والمعنى أنَّ سيِّدَنا إبراهيم عليه السلام جامعٌ لخصال لا تجتمع إلاّ في أمَّة بكاملها مبالغةً في المعنى على سبيل الاستعارة.

إنّ إدّعاء اللّبس والغموض الذي قد يكتنف اللّفظة إنْ هي حملت المعنى وضده في الآن نفسه، يمكن أن يُرّد عليه بأنَّ الاعتماد على السياق وتحسّس قرائنه لهو السبيل الأمثل في تحديد معنى اللّفظة وما دامت اللّفظة واردة في سياقٍ لغويّ وحاليّ مدّعمة بقرائن ومحدّدات دلالية تُجلي ما قد يكتنفها من تعمية، أي تكتنفُها خصوصيات وقرائن تتقدَّمها أو تليها، أو تتقدَّمها وتليها معًا، فضلاً عن ملابسات الجملة الواردة فيها وظروف المقام إنْ توفرت، كلُّها أمور تتضافر لتحدد الدلالة وتقرّب الفهم.

للتوسع أكثر ينظر:

- آل ياسين، الأضداد في اللّغة.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة.
- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة.
- ابن الأنباري، الأضداد.
- السيوطي، المزهر في علوم اللّغة،ج1.

الهوامش:

[1]-ابن منظور، اللسان، مادة[ض د د].
[2]-ابن الانباري، الأضداد، ص (أ).
[3]-ينظر: آل ياسين، الأضداد في اللّغة، ص266.
[4]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 387/1.
[5]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص194 وما بعدها.
[6]-ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، ص215.
[7]-نفسه، ص98.
[8]-ابن الأنباري، الأضداد، ص1-2.
[9]-نفسه، وينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 397/1 – 398.
[10]-ينظر: نفسه، 389/1 – 396.
[11]-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص213.